تنبيه أُولِي الأَبْصَار

أن الذين يخرجهم الله بالقبضتين

ليسوا من الكفار

(حوار مع الجربوع)

كتبه : سليمان مبروك العوفي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

أما بعد؛

لقد اطلعت على تسجيل - بعنوان: (إفادة الأخيار بأن الموحدين الذين خرجوا بالقبضتين كانوا من الكفار)[1]، زعم فيه صاحبه أن هناك كفارًا موحدين يخرجهم الله بالقبضتين، مستدلاً بعمومات وتأويلات لا حجة له فيها، متجاهلاً نصوصًا وقواطع واضحة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما عليه سلف الأمة، سالكًا مسلك المرجئة، فأتى في "إفادته.." بما لم يأت به الأوائل، من الخلط والخبط والتلبيس، فقررت التحذير من ذلك الباطل ليحيا من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (كما في مجموع الفتاوى ١١ / ٤٣٥): "وهذا الدين لا يُنسخ أبدًا، لكن يكون فيه من يُدخل من التحريف، والتبديل، والكذب، والكتمان، ما

---

(١) تنبيه على لفظ من "الكفار": الكفر المعرّوف بـ"ال" ينصرف إلى الكفر المخرج من الملة. انظر مناقشة ابن تيمية - في شرح العمدة - لأدلة لمن قال: إن تارك الصلاة لا يكفر.

يلبس به الحق بالباطل، ولا بد أن يقيم الله فيه من تقوم به الحجة خلفاً عن الرسل، فينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فيحق الله الحق ويبطل الباطل، ولو كره المشركون"

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (في إغاثة اللهفان١/ ١٥٩): "وقال مالك قال عمر بن عبد العزيز: سن رسول الله ﷺ، وولاة الأمور بعده سنناً الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمالٌ لطاعة الله، وقوَّةٌ على دين الله، ليس لأحد تبديلها، ولا تغييرها، ولا النظر فيما خالفها، من اقتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا.

وقال مالك: بلغني أن عمر بن الخطاب كان يقول: سنت لكم السنن وفرضت لكم الفرائض، وتركتم على الواضحة إلا أن تميلوا بالناس يميناً وشمالاً، وقال ﷺ: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**».

فأخبر أن الغالين محرفون ما جاء به، والمبطلون ينتحلون بباطلهم غير ما كان عليه، والجاهلون يتأولونه على غير تأويله، وفساد الإسلام من هؤلاء الطوائف الثلاثة؛ فلولا أن الله – تعالى – يقيم لدينه من ينفي عنه ذلك لجرى عليه ما جرى على أديان الأنبياء قبله".

* * *

المبحث الأول: مسألة الخلود في النار

فقد أشكل على كثير من الناس الخلود في النار، فاختلط عليهم الخلود الدائم، مع الخلود المؤقت، فلم يفرقوا بين خلود الكفار الدائم، وبين خلود عصاة المؤمنين المؤقت.

ومعلوم أن الكفار لا تنفعهم شفاعة الشافعين، أما عصاة المؤمنين فهم الذين يشفع فيهم النبي ﷺ، والملائكة، والمؤمنون، ويبقى منهم بقية ممن عملوا عملاً ليس على التمام والكمال، لكنهم موحدون فهؤلاء يخرجهم الله برحمته (بالقبضتين)، وليس في هؤلاء تارك الصلاة بالكلية، ولا مرتكب مكفر لم يعذر بجهلة؛ ولا تارك الصلاة تكاسلاً على الراجح؛ لأن تارك الصلاة بغير عذر غير موحد، إلا لمن يرى عدم كفره.

قال الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ".. الخلود خلودان، ينبغي أن يعلم..؛ لأن هذه المسائل تشكل على الناس، الخلود في النار خلودان خلود دائم أبدًا: فهذا للكفار -نعوذ بالله- لا يخرجون منها أبدًا، كما قال -جل وعلا ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧] وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾ [المائدة: ٣٧] نعوذ بالله.

الخلود الثاني: خلود مؤقت، لكنه طويل، خلود مؤقت، لكنه طويل، فهذا توعد الله به من قتل النفس بغير حق، من قتل مؤمنًا بغير حق، فتوعده الله بالخلود، وهكذا من قتل نفسه بحديدة، أو بسم توعده الله بالخلود[1]

وهذا الخلود ما هو بدائم، خلود له أمد ينتهي إليه، كما قال أهل السنة والجماعة، ولا يخلد الخلود الدائم أبدًا إلا الكفار، أما العصاة إذا دخلوا النار، فيعذبون على قدر

معاصيهم، لكن لا يخلدون أبد الآباد.

فقاتل نفسه متوعد بالنار، والخلود فيها والذي يقتل مؤمنًا بغير حق متوعد بالنار أيضًا، والخلود فيها، لكنه خلود مؤقت، له نهاية، ثم يخرجون منها إلى الجنة بعد ذلك، وهكذا من مات، وهو زان، أو يشرب الخمر، أو يسرق، أو عاق لوالديه، ولم يتب متوعد بالنار -نعوذ بالله- لكن لا يخلد فيها، إن دخلها لا يخلد فيها، وإن عفى الله فعفوه أكبر عز وجل دوهكذا بقية الكبائر، نسأل الله السلامة".

وقال - أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ فيمن مات على الشرك أو الكفر " .. قال الله سبحانه في كتابه العظيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، فأبان سبحانه أن الشرك لا يغفر، من مات على الشرك لا يغفر له نعوذ بالله، أما من مات على ما دون الشرك من المعاصي فهذا تحت مشيئة الله، وقد أجمع العلماء علماء المسلمين على أن العاصي الذي هو مسلم موحد مؤمن لكنه عنده معصية لا يخلد في النار أبد الآباد، بل متى دخل النار بهذه المعصية فإنه لا يخلد، بل يعذب فيها ما شاء الله، ثم يخرجه الله من النار إلى الجنة، هذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة وهو الحق[1]

أما من مات على الكفر بالله فهذا يخلد في النار أبد الآباد، نسأل الله السلامة والعافية" [(١)].

وقال الشيخ صالح آل الشيخ (في إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل ص: ٤٤٣): "الخلود في النار نوعان: خلودٌ أمدي إلى أجل، وخلودٌ أبدي. والخلود

---

(١) بالصوت، والتفريغ https://binbaz.org.sa/fatwas/١١٠٢٩/%D٩٪٨٥٪D٨٪A٧-%D٩٪٨٥٪D٨٪B٩٪D٩٪٨٦٪D٩٪٨٩-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٦-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨٧-%D٩٪٨٤٪D٨٪A٧-%D٩٪٨A%D٨٪BA%D٩٪٨١٪D٨٪B١-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٦-%D٩٪٨A%D٨٪B٤٪D٨٪B١٪D٩٪٨٣-%D٨٪A٨٪D٩٪٨٧

الأمدي: هو الذي تَوَعَّدَ الله – عز وجل – به أهل الكبائر.

والخلود الأبدي؛ المُؤَبد: هو الذي تَوَعَّدَ الله – عز وجل – به أهل الكفر والشرك.

فمن الأول: قول الله – عز وجل – ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾ [النساء: ٩٣]، فهذا خلود لكنه خلود أمدي؛ لأنَّ حقيقة الخلود في لغة العرب هو المُكث الطويل، وقد يكون مُكْثًا طويلاً ثُمَّ ينقضي، وقد يكون مُكْثًا طويلاً مؤبدًا.

ومن الثاني: وهو الخلود الأبدي في النار للكفار قول الله – عز وجل – ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]، وكذلك قوله – عز وجل – في آخر سورة الأحزاب: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [الأحزاب: ٦٤ – ٦٥]، هذا خلود أبدي. ولذلك يُمَيَّزْ الخلود في القرآن بالأبدية في حق الكفار، وأما في حق الموحدين فإنه لا يكون معه كلمة (أبدًا). وهذا الذي بسببه ضَلَّتْ الخوارج والمعتزلة فإنهم رأوا (خالدين فيها) في حق المُرَابي وفي حق القاتل فظنوا أنَّ الخلود نوع واحد، والخلود نوعان.

ومما يتصل بهذا – أيضًا – لفظ التحريم في القرآن، ولفظ عدم الدخول للجنة في القرآن، وكذلك عدم الدخول إلى النار.

يعني لفظ التحريم (إنَّ الله حَرَّمَ الجنة)، أو (حَرَّمَ الله عليه النار)، أو (لا يدخل الجنةَ قاطع رحم)، أو (لا يدخلون الجنةَ)، ونحو ذلك.

فهذه مما ينبغي تأمُلُهَا وهو أنَّ التحريم في القرآن والسنة ونفي الدخول نوعان:

تحريمٌ مؤبد. وتحريمٌ إلى أمد. كما أنّ نفي الدخول: نفْيُ دخولٍ مؤبد. ونفي دخولٍ إلى أمد.

فتَحَصَّلَ من هذا أنَّ الخلود في النار نوعان: خلود إلى أمد، وخلود أبدي.

وأنَّ تحريم الجنة –كما جاء في بعض النصوص– أو تحريم النار وقد يكون

تحريماً إلى أمد وقد يكون تحريماً إلى الأبد.

وكذلك نفي الدخول (لا يدخل الجنة) (لا يدخل النار) هذا -أيضاً- نفي دخولٍ مؤبد أو نفي دخولٍ مؤقت.

وهذا التفصيل هو الذي به يفترق أهل السنة والجماعة أتباع السلف الصالح مع الخوارج والمعتزلة وأهل الضلال بجميع أصنافهم فإنهم جعلوا الخلود واحدًا وجعلوا التحريم واحدًا وجعلوا نفي الدخول واحدًا، والنصوص فيها هذا وهذا".

قلت: وقد تبين من كلام أهل العلم أن أهل النَّار على قسمين لا ثالث لهما - وهذا يبطل مزاعم صاحب "إفادة الأخيار" - قسم: موحِّدون ليسوا كفارًا: خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وأدخلهم الله تعالى النار بذنوبهم، وشاء لهم أن يعذَّبوا فيها، وهذا القسم عذابهم في النار إلى أمد، والله يقدِّر ذلك الأمد بمشيئته، ثم يخرجهم من النار، ويدخلهم الجنَّة، كما قال - تعالى -: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، وكما في الأحاديث التي ورد فيها بيان الذين يخرجون من النار.

القسم الثاني: كفار، ومنافقون ماتوا على الكفر والشرك والإلحاد والنفاق، وهذا القسم عذابهم إلى الأبد، كما في قوله - تعالى - ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، وقوله - تعالى -: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، وقوله الله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾، وقول رَسُول اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ».

قال ابن كثر رَحِمَهُ اللهُ (في تفسيره ٨/ ٤٥٧): "يُخْبِر تَعَالَى عَنْ مَآلِ الْفُجَّارِ، مِنْ كَفَرَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَالْمُشْرِكِينَ الْمُخَالِفِينَ لِكُتُبِ اللهِ الْمُنَزَّلَةِ وَأَنْبِيَاءِ اللهِ الْمُرْسَلَةِ: أَنَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ أَيْ: مَاكِثِينَ، لَا يُحَوَّلُونَ عَنْهَا وَلَا يَزُولُونَ"

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ (في تفسيره: تيسير الكريم الرحمن ص: ٩٣٢): "ذكر جزاء الكافرين بعدما جاءتهم البينة، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾، قد أحاط بهم عذابها، واشتد عليهم عقابها، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾، لا يفتر عنهم العذاب، وهم فيها مبلسون".

وأما تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾.

فقد قال أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ (في جامع البيان في تأويل القرآن): " يعني بذلك- جل ثناؤه -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾، وإن الله لا يغفر أن يشرك به، فإن الله لا يغفر الشرك به والكفر، ويغفر ما دون ذلك الشرك لمن يشاء من أهل الذنوب والآثام".

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ (في تفسيره ٤/ ٢٩): " فَهَذِهِ الْآيَة عَامَّة فِي جَمِيع الذُّنُوب مَا عَدَا الشِّرْك وَهِيَ مَذْكُورَة فِي هَذِهِ السُّورَة الْكَرِيمَة بَعْد هَذِهِ الْآيَة وَقَبْلهَا لِتَقْوِيَةِ الرَّجَاء وَاَللَّه أَعْلَم"، وقد ذكر في الجزء (٤/ ٢١١): ".. وَأَمَّا مَنْ مَاتَ كَافِرًا فَالنَّصّ أَنَّ الله لَا يَغْفِر لَهُ الْبَتَّة.."

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ (في تفسيره ٢/ ٣٢٥): "ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى: أَنَّهُ ﴿لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ أَيْ: لَا يَغْفِرُ لِعَبْدٍ لَقِيَهُ وَهُوَ مُشْرِكٌ بِهِ ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أَيْ: مِنَ الذُّنُوبِ ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ أَيْ: مِنْ عِبَادِهِ".

وقال محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ (في كتابه: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١/ ٢٤٣) عند قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾، "ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّهُ تَعَالَى لَا يَغْفِرُ الْإِشْرَاكَ بِهِ، وَأَنَّهُ يَغْفِرُ غَيْرَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ، وَأَنَّ مَنْ أَشْرَكَ بِهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا.

وَذَكَرَ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ: أَنَّ مَحَلَّ كَوْنِهِ لَا يَغْفِرُ الْإِشْرَاكَ بِهِ إِذَا لَمْ يَتُبِ الْمُشْرِكُ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنْ تَابَ غَفَرَ لَهُ كَقَوْلِهِ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾، فَإِنَّ الْاسْتِثْنَاءَ رَاجِعٌ لِقَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾، وَمَا عُطِفَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ مَعْنَى الْكُلِّ جُمِعَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ الْآيَةَ، وَقَوْلِهِ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾.

وَذَكَرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: أَنَّ مَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ قَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا عَنِ الْحَقِّ، وَهُوَ قَوْلُهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ أَيْضًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾، وَصَرَّحَ بِأَنَّ مَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ وَمَأْوَاهُ النَّارُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾...، وَذَكَرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّ الْمُشْرِكَ لَا يُرْجَى لَهُ خَلَاصٌ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، وَصَرَّحَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: بِأَنَّ الْإِشْرَاكَ ظُلْمٌ عَظِيمٌ بِقَوْلِهِ عَنْ لُقْمَانَ مُقَرِّرًا لَهُ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

وَذَكَرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّ الْأَمْنَ التَّامَّ وَالِاهْتِدَاءَ، إِنَّمَا هُمَا لِمَنْ لَمْ يَلْبِسْ إِيمَانَهُ بِشِرْكٍ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾، وَقَدْ صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّ مَعْنَى بِظُلْمٍ بِشِرْكٍ.."

وقال أبو محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم (في أحكام القرآن لابن الفرس ٢/ ٢١٤):

عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾: "هذه الآية أصل في الوعد والوعيد، وهي الحاكمة ببيان ما تعارض من الآيات في ذلك:

وتهذيب القول فيها أن الناس أربعة أصناف: كافر مات على كفره. فهذا مخلد في النار بإجماع، ومؤمن لم يذنب مات على إيمانه، فهذا في الجنة بإجماع، وهذا كله في

هذين الصنفين بحسب ما أخبر الله تعالى عنهم، وتائب من ذنبه مات على توبته، فهذا عند أهل السنة والجمهور الفقهاء لاحق بالمؤمن المتقدم ذكره؛ إلا أن مقتضى مذهب المتكلمين أنه في المشيئة. ومذنب مات قبل توبته، فهذا اختلفت فيه الفرق:

فقالت المرجئة: هو في الجنة بإيمانه، ولا تضره سيئاته، وبنوا ذلك على أن جعلوا آيات الوعيد كلها مخصصة في الكفار، وآيات الوعد عامة في المؤمنين تقيهم وعاصيهم.

وقالت المعتزلة: إن كان صاحب كبيرة فهو في النار ولا بد.

وقالت الخوارج: إذا كان صاحب كبيرة أو صغيرة فهو مخلد في النار ولا إيمان له؛ لأنهم يرون كل الذنوب كبائر، وبنوا ذلك على أن جعلوا آيات الوعد كلها مخصصة في المؤمن الذي لم يذنب أو المؤمن التائب. وجعلوا آيات الوعيد عامة في العصاة كفار كانوا أو مسلمين.." إلى أن قال: "وقال أهل السنة: آيات الوعد ظاهرة العموم، وآيات الوعيد ظاهرة العموم، ولا يمكن الجمع بينهما مع حملهما على عمومها؛ كقوله تعالى: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾، فلا بد أن نقول: إن آيات الوعد لفظها العموم والمراد بها الخصوص في المؤمن، وفي التائب، وفيمن سبق علم الله تعالى بالعفو عنه من المذنبين، وآيات الوعيد لفظها العموم، والمراد بها الخصوص في الكفرة، وفيمن سبق علم الله".

فمما تقدم من كلام أهل العلم يتبين أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ عامة في جميع الأثام ما عدى الشرك.

وهذا- يبطل - أيضًا - مزاعم - صاحب: (إفادة الأخيار) بقوله: إن الذين يخرجون بالقبضتين من الكفار، بل هذا مخالف للكتاب والسنة والإجماع، فخلود الكفار دل

عليه الكتاب والسنة، وقد استقر الإجماع على ذلك، فلا عبرة بالمخالف، بل تلك - المزاعم - هي عين الإرجاء.

وأنني أعجب من تناقض هذا الرجل، كيف يتصور أن هناك بعض الكفار موحدين، حيث أثبت لهم إسلامًا وكفرًا وهذا لا يقول به عاقل؟!!، فقد سلك - فيما زعمه - طريق المبطلين وتأويل الجاهلين. وإنني لم أجد أحدًا قال بقوله، واستدل باستدلاله، وإنما هي تصورات وهرطقات وخيالات من بنيات الطريق. فالله المستعان.

قال أبو الحسين يحيى بن أبى الخير بن سالم العمراني اليمنى الشافعى المتوفى سنة٥٥٨ هـ (في الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار٣/ ٧٠٥) عن الشفعاء:" فثبت أنهم إنما يشفعون لمن استحق العقاب من الموحدين، فإن قالوا: فقولوا: إنهم يشفعون للكفار وإن الله يوصف بأن يدخل الكفار الجنة.

والجواب: أنا نقول: أما في العقل فلا يستحل أن الله يدخل الكفار الجنة، لأن ذلك إنعام من الله وتفضل على خلقه، وقد أنعم عليهم في الدنيا. والداران ملكه، فما لم يستحل منه في الدنيا لم يستحل منه في الآخرة، إلا أن القرآن والسنة قد وردا بخلاف ذلك، فأخبر أنه لا يغفر لمن أشرك به، وأخبر النبى ﷺ أنه لا يدخلهم الجنة ولا تنفعهم شفاعة الشافعين، واجمعت الأمة على قبول هذه الأخبار وموجبها...".

قلت: وأما تشبيهه صاحب " إفادة الأخيار" بكلام النووي فباطل من وجوه:

الوجه الأول: أن هذا القول ليس له فيه سلف إلا من دخلت عليه شبهة المرجئة، كما دخلت على مرجئة هذا الزمان، بل المرجئة أثبتوا إسلامًا لمن كان كافرًا فلا يقولون إنهم كفار وموحدون كما يقول صاحب "إفادة الأخيار"؛ لأن تارك الأعمال بالكلية عندهم مفسق، ويعدونه في دائرة الإسلام.

الوجه الثاني: إن إثبات التوحيد لبعض الكفار، فيه ردٌ لنصوص الكتاب والسنة،

كما في قوله سبحانه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾، وقوله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»، وغير ذلك من النصوص.

الوجه الثالث: أن كلام النووي عام، والآية عامة - أيضًا - في جميع الذنوب إلا الشرك، فحمل كلام النووي على غير مراده بلا دليل مردود.

وكلام النووي وضح ليس فيه لبس، بل اللبسُ في فهم صاحب: "الإفادة"، فالنووي يخبر أن المقصود بمن حبسه القرآن، هم الكفار المخلدون في النار، ولم يقل أنهم من الموحدين، بل ذكر تفسير قتادة راوي الحديث حيث قال: "وهذا التفسير صحيح ومعناه من أخبر القرآن أنه مخلد في النار، وهم الكفار كما قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾".

ثم استأنف الكلام بعد الآية وبين المفهوم بعد تخليد الكفار: أن فيه دلالة لمذهب أهل الحق وما أجمع عليه السلف أنه لا يخلد في النار أحد مات على التوحيد [أي: من غير الكفار].

وهذا مفهوم من قول الله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، أي ما دون الشرك.

ويبين ذلك كلام النووي - في (في شرحه ٣/ ٩٦) عند قول الرسول ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ» - حيث قال: "هَذَا نَصٌّ صَرِيحٌ فِي أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ لَا يَدْخُلِ الْجَنَّةَ أَصْلًا وَهَذَا النَّصُّ عَلَى عُمُومِهِ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ".

وقوله الآخر (في شرحه على مسلم (٢/ ٤١)، عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ: " مَعَ إِجْمَاعِ أَهْلِ الْحَقِّ عَلَى أَنَّ الزَّانِيَ وَالسَّارِقَ وَالْقَاتِلَ وَغَيْرَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْكَبَائِرِ غَيْرِ الشِّرْكِ لَا يَكْفُرُونَ بِذَلِكَ، بَلْ هُمْ مُؤْمِنُونَ نَاقِصُو الْإِيمَانِ إِنْ تَابُوا سَقَطَتْ عُقُوبَتُهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا مُصِرِّينَ

عَلَى الْكَبَائِرِ كَانُوا فِي الْمَشِيئَةِ"، وقد بوب رَحِمَهُ اللَّهُ (في شرحه ٢/ ٨٢): "باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار وَلَا تَنَالُهُ شَفَاعَةٌ وَلَا تنفعه قرابة المقربين.

٤٩٩ - قَوْلُهُ (أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ أَيْنَ أَبِي قَالَ: «فِي النَّارِ» فَلَمَّا قَفَّى دعاه فقال: «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ» فِيهِ أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ فَهُوَ فِي النَّارِ وَلَا تَنْفَعُهُ قَرَابَةُ الْمُقَرَّبِينَ، وَفِيهِ أَنَّ مَنْ مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ الْعَرَبُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَيْسَ هَذَا مُؤَاخَذَةً قَبْلَ بُلُوغِ الدَّعْوَةِ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ كَانَتْ قَدْ بَلَغَتْهُمْ دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ تَعَالَى وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ وَقَوْلُهُ ﷺ "[1].

وقال أيضًا (في شرحه ٢/ ٨٩ - ٩٠): "باب: الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل، فيه حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «قالت: قلت يا رسول الله بن جُدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذلك نافعه قال لا ينفعه إنه لم يقل يومًا رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين» ..." إلى أن قال: " قال القاضي عياض - رحمه الله تعالى -: **وقد انعقد الإجماع على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم، ولا يثابون عليها بنعيم، ولا تخفيف عذاب، لكن بعضهم أشد عذابًا من بعض، بحسب جرائمهم، هذا آخر كلام القاضي.**

وذكر الإمام الحافظ الفقيه أبو بكر البيهقي في كتابه (البعث والنشور) نحو هذا عن بعض أهل العلم والنظر، قال البيهقي: وقد يجوز أن يكون حديث بن جُدْعان وما ورد من الآيات والأخبار في بطلان خيرات الكافر إذا مات على الكفر، ورد في أنه لا يكون لها موقع التخليص من النار وإدخال الجنة، ولكن يخفف عنه من عذابه الذي يستوجبه على جنايات ارتكبها سوى الكفر بما فعل من الخيرات هذا كلام البيهقي..".

الوجه الرابع: أن الآية في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ

---

(١) قلت: وهذا وما قبله يكفي في ابطال مزاعم صاحب: "إفادة الأخيار".

لِمَن يَشَآءُ ﴾، عامة في جمع الذنوب إلا الشرك وقد بين ذلك ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما تقدم. وقوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَٰلِكَ ﴾ عام فيما عدا الكفر.

الوجه الخامس: أن ما تقدم من آيات في تخليد الكفار في النار، والإجماع على عدم خروجهم منها، دليل على فساد قول صاحب: "إفادة الأخيار"، وبطلان كل مزاعمه.

الوجه السادس: أن ما تقدم يبين خلط صاحب: "إفادة الأخيار" بين لفظ: "خلود الكفار في النار" و"خلود العصاة في النار"؟!!، وبين ما ورد في الحديث الطويل: «**أخرجوا من كان في قلبه مثقال دينار من الإيمان**» ولفظ: «**فيقبض الله قبضة من النار - أو قال قبضتين - ناسًا لم يعملوا لله خيرًا قط**».

الوجه السابع: أنه أشكل عليه فهم ما ليس بمشكل، وهو حديث: «**فيقبض الله قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط**»، وقد اجتهد فيما لا يصح له فيه الاجتهاد؛ لأن تخليد الكفار الأبدي ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

الوجه الثامن: أن التحقيق في ذلك: أن من حبسه القرآن عام في كل مخلد في النار سواء من الكفار أو الموحدين، لكن الكفار خلودهم دائم لا يخرجون منه أبد الآباد. كما تقدم في نوعي الخلود.

أما الموحدون من العصاة: فخلودهم مؤقت، فهم على درجات متفاوتة منهم من يخرج ومنهم من يتأخر فيخرج بالقبضتين.

قال ابن حجر (في فتح الباري ١١/ ٥٣٥): "ووقع في رواية معبد بن هلال عن أنس أن الحسن حدث معبدًا بعد ذلك بقوله فأقوم الرابعة وفيه قول الله له: «**ليس ذلك لك وأن الله يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وإن لم يعمل خيرًا قط**»، فعلى هذا فقوله: حبسه القرآن يتناول الكفار وبعض العصاة ممن ورد في القرآن في حقه التخليد، ثم يخرج العصاة في القبضة، وتبقى الكفار، ويكون المراد بالتخليد في حق العصاة المذكورين البقاء في

النار بعد إخراج من تقدمهم.."

(وفي ١١/ ٥٥٦) ما استنبطه ابن أبي جمرة: ".. لكن يحمل على أنه يخرج في القبضة لعموم قوله: «**لم يعملوا خيرًا قط**» وهو مذكور في حديث أبي سعيد الآتي في التوحيد، وهل المراد بمن يسلم من الإحراق من كان يسجد أو أعم من أن يكون بالفعل أو القوة؟، الثاني: أظهر ليدخل فيه من أسلم مثلاً وأخلص فبغته الموت قبل أن يسجد".

ومما تقدم يتبين أن صاحب " إفادة الأخيار" لم يتقن ما ورد في هذه النصوص، مع أن النصوص واضحة، بل من تأمل ما جاء في وصفهم في حديث «**لم يعملوا خيرًا قط**»، وبين ما ورد من النصوص التي تدل على خلود الكفار في النار لا يجد تعارضاً وإشكالاً؛ لأن الذين جاء وصفهم في الحديث هم موحدون، لكن لم يكن عملهم على التمام والكمال - كما سيأتي في مبحث: العذر بالجهل -، فلا يحكم بكفرهم.

* * *

المبحث الثاني: العذر بالجهل

إن العذر بالجهل من المسائل المهمة، ومن المشكلة على كثير من الناس، وبإجماع أهل العلم أن العذر بالجهل يختلف باختلاف المسائل، فالعلماء فرقوا بين المسائل الجلية المعلومة من الدين بالضرورة، وبين المسائل الخفية التي قد يخفى دليلها على بعض الناس، فالمسائل الجلية لا يعذر المكلف فيها إذا سمع القرآن والسنة وكان بين العلماء، ولا يلزم فهم الحجة، بخلاف المسائل الخفية.

والمسائل الجلية التي لا يعذر المكلف فيها هي: كعبادة الأصنام، والطواف بالقبور، والتوسل بالأموات، ودعائهم من دون الله...الخ، وكذلك (الشرائع الظاهرة المتواترة): كالصلوات الخمس، وإيتاء الزكاة، والصيام والحج، وتحريم الفواحش...الخ، فلا يعذر بالجهل في هذه المسائل الجلية إلا حديث عهد بالإسلام أو من نشأ ببادية بعيدة لا يسمع القرآن ولا السنة، ولم يتمكن من معرفتها، لخلو هذا القطر أو البلد من أهل العلم؛ فإذا انعدم البلاغ وإمكانية التعلم فيعذر في هذا الحال، أما مجرد الجهل مع إمكانية التعلم؛ فإنه ليس عذرًا في تلك المسائل الجلية.

ومن الأمثلة: لو أن رجلاً أسلم، فنطق بالشهادتين مخلصاً من قلبه، ثم توفي قبل أن يتمكن من العمل فهو مسلم.

أما من نشأ ببادية بعيدة ولم يتمكن من معرفة تلك المسائل الجلية، لعدم وجود من يعلمه، فمات على هذه الحال فحكمه حكم أهل الفترة.

أما المسائل الخفية فيعذر فيها الجاهل، والواجب على المؤمن أن يتعلم ويتفقه في دينه، ويسأل أهل العلم، كما قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وقد ذكر العلماء أن الشفاعة لمن: قال لا إله إلا الله، وقد جاء بأصل التوحيد، ولكنه لم يعمل خيرًا قط. قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ (في فتح الباري ١١/ ٤٢٨ -٤٢٩):

"وشفاعة أخرى هي شفاعته فيمن قال لا إله إلا الله ولم يعمل خيرا قط " انتهى.

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (في الصفدية ١/ ٢٣٦): ".. ومن هؤلاء من لا يكون قصده الزندقة والنفاق، لكن لا يكون عارفًا بحال الرسول، وقدْرِ ما جاء به، ولكنه يعظمه تعظيمًا مجملاً، ويرى هؤلاء قد تكلموا في النبوة وحقيقتها بكلامهم، وهو عاجز عن معرفة حقيقة الأمر، فيعتقد هذا في النبوة، وهؤلاء يكثرون في أماكن الفترات التي تضعف فيها آثار النبوة إذا لم يكن هناك من يقوم بحقائقها، وهؤلاء يكونون في الدول الجاهلية كدولة بني عبيد ودولة التتار ونحوهم.

ومن هؤلاء من يغفر الله له؛ فإنه إذا اجتهد وسعه في الإيمان بالرسول، ولم يبق له قدرة على أكثر مما حصل له من الإيمان به، لم يكلف الله نفسًا إلا وسعها، وإن كان قوله بعد قيام الحجة عليه كفرًا، كالذي قال لأهله إذا انا مت فاسحقوني ثم اذْرُونِي في اليم، فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذابًا لا يعذبه أحدًا من العالمين، والحديث في الصحيحين من غير وجه؛ فإن هذا جهل قدرة الله على إعادته، ورجا أنه لا يعيده بجهل ما أخبر به من الإعادة، ومع هذا لما كان مؤمنًا بالله وأمره ونهيه ووعده ووعيده خائفًا من عذابه، وكان جهله بذلك جهلاً لم تقم عليه الحجة التي توجب كفر مثله، غفر الله له، ومثل هذا كثير في المسلمين والنبي ﷺ كان يخبر بأخبار الأولين ليكون ذلك عبرة لهذه الأمة".

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ (كما في مجموع الفتاوى ٧/ ٥٣٨): "فمن شرط الإيمان وجود العلم التام، ولهذا كان الصواب أن الجهل ببعض أسماء الله وصفاته، لا يكون صاحبه كافرًا إذا كان مقرًا بما جاء به الرسول ﷺ، ولم يبلغه ما يوجب العلم بما جهله على وجه يقتضي كفره إذا لم يعلمه، كحديث الذي أمر أهله بتحريقه ثم تذريته".

وقال سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ (في التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد

الوهاب ص: ١٠٥): " وأما إخراج الله من النار من لم يعمل خيرًا قط، بل كفى عن العمل وجود أدنى إيمان في قلبه، وإقرار بالشهادتين في لسانه، فهو إما لعدم تمكنه من أداء ما افترض الله عليه من أركان الإسلام، بل بمجرد أدنى إيمان في قلبه وشهادة بلسانه خرمته المنية، لكنه قد عمل عملاً مفسقًا به، لوجود ما صدر منه عالمًا به فاستحق دخول النار عليه، وإما لكونه نشأ في مكان قريب من أهل الدين والإيمان فلم يعلم ما أوجب الله على خلقه من تفاصيل الدين والإيمان والإسلام وأركانه، بل جهل ذلك ولم يسأل أهل الذكر عنه، فإن الله أوجب على خلقه المكلفين التفقه في الدين وإن لم يحصل إلا بقطع مسافة كثيرة غير معذور بهذا الجهل إذ مثله لا يجهل ذلك لقربه من المسلمين فيعاقبه الله على ترك تعلم ما أوجب الله عليه، ولهذا لا يخلد في النار إن لم يوجد منه مناف للإسلام من إنكار أمر علم من الدين ضرورة ولم يمتنع من إجابة إمام المسلمين إذا دعاه لتقويم أركان الدين، بل هو مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر لا ينكر منه شيئًا وبأركان الإسلام كلها، لكنه جهل تفاصيل ذلك وأحكامه وما يجب عليه منه".

وقال الإمام ابن رجب الحنبلي- رحمه الله تعالى- (في التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ص٢٥٦): " والمراد بقوله: (لم يعملوا خيرًا قط) من أعمال الجوارح، وإن كان أصل التوحيد معهم".

وقال أبو بكر بن خزيمة في كتاب التوحيد (ص ٣٠٩ ط ق): "هذه اللفظة «**لم يعملوا خيرًا قط**» من الجنس الذي تقول العرب: ينفي الاسم عن الشيء لنقصه عن الكمال والتمام؛ فمن هذه اللفظة «**لم يعملوا خيرًا قط**» على التمام والكمال لا على ما أوجب عليه به، وقد بينت هذا المعنى في مواضع من كتبي".

وقال الإمام الحافظ: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر - رحمه الله تعالى- (في التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٦/ ٣٨١): أثناء شرحه

لحديث الرجل الذي أمر بذرّ نفسه، والمعروف بحديث القدرة: "روي من حديث أبي رافع، عن أبي هريرة في هذا الحديث أنه قال: قال رجل «**لم يعمل خيرًا قط إلا التوحيد**»، وهذه اللفظة إن صحت رفعت الإشكال في إيمان هذا الرجل، وإن لم تصح من جهة النقل فهي صحيحة من جهة المعنى، والأصول كلها تعضدها، والنظر يوجبها؛ **لأنه محال غير جائز أن يُغفر للذين يموتون وهم كفار؛ لأن الله - عز وجل - قد أخبر أنه لا يغفر أن يشرك به لمن مات كافرًا، وهذا ما لا مدفع له، ولا خلاف فيه بين أهل القبلة.**

وفي هذا الأصل ما يدلك على أن قوله في هذا الحديث: «لم يعمل حسنة قط، أو لم يعمل خيرًا قط» لم يعذبه إلا ما عدا التوحيد من الحسنات والخير.

وهذا سائغ في لسان العرب، جائز في لغتها أن يؤتى بلفظ الكل، والمراد البعض.

والدليل على أن الرجل كان مؤمنًا، قوله حين قيل له لِمَ فعلت هذا؟: فقال من خشيتك يا رب، والخشية لا تكون إلا لمؤمن مصدق، بل ما تكاد تكون إلا لمؤمن عالم، كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾، قالوا كل من خاف الله فقد آمن به وعرفه، ومستحيل أن يخافه من لا يؤمن به، وهذا واضح لمن فهم وألهم رشده، ومثل هذا الحديث في المعنى ما حدثناه عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا أبو صالح حدثني الليث عن ابن العجلان عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**إن رجلاً لم يعمل خيرًا قط، وكان يداين الناس، فيقول لرسوله خذ ما يَسُرَ واترك ما عسر، وتجاوز لعل الله يتجاوز عنا، فلما هلك قال الله: هل عملت خيرًا قط؟، قال: لا إلا أنه كان لي غلام فكنت أداين الناس فإذا بعثته يتقاضى قلت له: خذ ما يسر واترك ما عسر، وتجاوز لعل الله يتجاوز عنا، قال الله: قد تجاوزت عنك**»، قال أبو عمر: فقول هذا الرجل الذي لم يعمل خيرًا قط غير تجاوزه عن غرمائه لعل الله يتجاوز عنا إيمان وإقرار بالرب

ومجازاته وكذلك قوله الآخر خشيتك يا رب إيمان بالله واعتراف له بالربوبية والله أعلم" إلى أن قال: وأما قوله لئن قدر الله علي فقد اختلف العلماء في معناه فقال منهم قائلون هذا رجل جهل بعض صفات الله عز وجل وهي القدرة فلم يعلم أن الله على كل ما يشاء قدير قالوا ومن جهل صفة من صفات الله عز وجل وآمن بسائر صفاته وعرفها لم يكن بجهله بعض صفات الله كافرًا قالوا وإنما الكافر من عاند الحق لا من جهله، وهذا قول المتقدمين من العلماء ومن سلك سبيلهم من المتأخرين وقال آخرون أراد بقوله لئن قدر الله عليه من القدر الذي هو القضاء وليس من باب القدرة والاستطاعة في شيء قالوا وهو مثل قول الله عز وجل في ذي النون ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾.."

وقال محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير – و(المتوفى: ١١٨٢هـ) – (في رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار ص ١٣٢):"وهذا الحديث فيه الإخبار بأن الملائكة قالت: (لم نذر فيها خيرًا) أي: أحدًا فيه خير، والمراد ما علموه بإعلام الله، ويجوز أن يقال: لم يعلمهم بكل من في قلبه خير، وأنه بقي من أخرجهم بقبضته، ويدل له أن لفظ الحديث: «**أنه أخرج بالقبضة من لم يعملوا خيرًا قط**»، فنفى العمل، ولم ينف الاعتقاد، وفي حديث الشفاعة تصريح بإخراج قوم لم يعملوا خيرًا قط، ويفيد مفهومه أن في قلوبهم خيرًا.

ثم سياق الحديث يدل على أنه أريد بهم أهل التوحيد؛ لأنه – تعالى – ذكر الشفاعة للملائكة، والأنبياء، والمؤمنين، ومعلوم أن هؤلاء يشفعون بعصاة أهل التوحيد؛ فإنه لا يقول ابن تيمية ولا غيره أنه يشفع للكفار بقرائن القبض التي قبضها الرب في عصاة الموحدين والأليق بالسياق أنها أيضًا فيهم..." [أي في عصاة الموحدين].

وسئل الشيخ محمد صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تسجيل صوتي أحسن الله إليك معلوم أن الإيمان شعب أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ومعلوم أن هذه الشعب ليست متلازمة، بل قد يوجد بعضها دون الآخر، والسؤال: هو أن النبي ﷺ ذكر أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، وهذا يعم كل الشعب كل شعب الإيمان فمن الناس لا يصلي ولكنه له أعمال أخرى صالحة كالصدقة أو التوحيد فكيف نجيب على هذا الاعتراض؟ فأجاب الشيخ نجيب على هذا الاعتراض أن النبي ﷺ قال: «**يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان**» أو«**يخرج من النار من لم يعمل خيرًا قط**»، وهو أبلغ من هذا الحديث؛ لأن هذا عام، وأحاديث ونصوص الصلاة خاصة، نعم لو ورد يخرج من النار من لم يصل لقلنا: إن المراد بالكفر في نصوص الصلاة الكفر الذي لا يخرج من الملة، لكن لم يأت حرف واحد أن من لم يصل يخرج من النار أو أن من لم يصل يدخل الجنة حتى تحمل الأحاديث على أن المراد بها خلاف ظاهرها، وهذه نقطة ينبغي لطالب العلم أن ينتبه لها، وهو أن لا يحتج بالمشتبه على المحكم، وإنما يحتج بالمحكم على المتشابه؛ لأن هذه طريقة الراسخين في العلم، والاحتجاج بالمتشابه على المحكم طريقة قوم آخرين ولهذا أمثلة كثيرة يعني في العقائد وغير العقائد يحتج من يحتج بالمتشابه على المحكم أُريكم في العقائد احتج من أنكر صفات الله عز وجل بقول الله تعالى:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ احتج بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾، وقال كل صفة يتصف بها المخلوق فالله تعالى منزه عنها؛ لأنه لو اتصف بها لكان أيش؟ مماثل المخلوق أنظر كيف احتج بالمتشابه على الشيء المحكم مع أن الشيء المحكم بجانب المتشابه، ...".

وقد قال الشيخ عبد الله، والشيخ إبراهيم أبناء الشيخ عبد اللطيف، والشيخ سليمان بن سحمان - رحمهم الله - (كما في الدرر السنية في الأجوبة النجدية

١٠/ ٤٣٢): "لكن الشخص المعين، إذا قال ذلك لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها، وهذا في المسائل الخفية، التي قد يخفى دليلها على بعض الناس، كما في مسائل القدر والإرجاء ونحو ذلك مما قاله أهل الأهواء، فإن بعض أقوالهم تتضمن أمورًا كفرية، من رد أدلة الكتاب والسنة المتواترة، فيكون القول المتضمن لرد بعض النصوص كفرًا، ولا يحكم على قائله بالكفر، لاحتمال وجود مانع كالجهل، وعدم العلم بنقض النص، أو بدلالته، فإن الشرائع لا تلزم إلا بعد بلوغها؛ ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، - قدس الله روحه- في كثير من كتبه".

وقال سماحة شيخنا عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ (كما في فتاواه ومقالاته ٧/ ١٣٢): "أما المسائل التي قد تخفى مثل: بعض مسائل المعاملات، وبعض شؤون الصلاة، وبعض شؤون الصيام، فقد يعذر فيها الجاهل، كما عذر النبي ﷺ الذي أحرم في جبة وتلطخ بالطيب، فقال له النبي ﷺ: «**اخلع عنك الجبة واغسل عنك هذا الطيب، واصنع في عمرتك ما أنت صانع في حجتك**»، ولم يأمره بفدية لجهله، وهكذا بعض المسائل التي قد تخفى، يعلم فيها الجاهل ويبصر فيها...".

فهنا يتبين بأن الحكم على المعين في المسائل الجلية، والمسائل الخفية إذا قامت الحجة عليه، فإنه كافر كفر أكبر خالد مخلد في النار لا تشمله شفاعة الشافعين، ولا يخرج من النار. أما إذا كان المعين وقع في مسألة جلية ولم يكن بين المسلمين ولم يسمع القرآن والسنة، كونه بعيد عن العلماء فإنه يلحق بأهل الفترة، وحكمه حكمهم، كما تقدم.

* * *

المبحث الثالث: الشفاعة

بوب النووي: باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النَّارِ، وذكر عن القاضي عياض خمسة أقسام كلهم في دائرة الإسلام، ولم يذكر قسماً خامساً من خارج دائرة الإسلام كما زعم صاحب إفادة الأخيار.

قال (في الشرح النووي على مسلم ٣/ ٣٨): "قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللَّهُ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ جَوَازُ الشَّفَاعَةِ عَقْلًا وَوُجُوبُهَا سَمْعًا بِصَرِيحِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾، وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾، وَأَمْثَالِهِمَا وَبِخَبَرِ الصَّادِقِ ﷺ وَقَدْ جَاءَتِ الْآثَارُ الَّتِي بَلَغَتْ بِمَجْمُوعِهَا التَّوَاتُرَ بِصِحَّةِ الشَّفَاعَةِ فِي الْآخِرَةِ لِمُذْنِبِي الْمُؤْمِنِينَ، وَأَجْمَعَ السَّلَفُ وَالْخَلَفُ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَيْهَا، وَمَنَعَتِ الْخَوَارِجُ وَبَعْضُ الْمُعْتَزِلَةِ مِنْهَا وَتَعَلَّقُوا بِمَذَاهِبِهِمْ فِي تَخْلِيدِ الْمُذْنِبِينَ فِي النَّارِ وَاحْتَجُّوا بقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾، وَهَذِهِ الْآيَاتُ فِي الْكُفَّارِ، وَأَمَّا تَأْوِيلُهُمْ أَحَادِيثَ الشَّفَاعَةِ بِكَوْنِهَا فِي زِيَادَةِ الدَّرَجَاتِ فَبَاطِلٌ، وَأَلْفَاظُ الْأَحَادِيثِ فِي الْكِتَابِ وَغَيْرِهِ صَرِيحَةٌ فِي بُطْلَانِ مَذْهَبِهِمْ وَإِخْرَاجِ مَنِ اسْتَوْجَبَ النَّارَ.

لَكِنَّ الشَّفَاعَةَ خمسة أقسام:

أولها: مختصة بنبينا صلى الله عليه سلم وَهِيَ الْإِرَاحَةُ مِنْ هَوْلِ الْمَوْقِفِ وَتَعْجِيلُ الْحِسَابِ كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهَا.

الثَّانِيَةُ: فِي إِدْخَالِ قَوْمٍ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَهَذِهِ وَرَدَتْ - أَيْضًا- لِنَبِيِّنَا ﷺ، وَقَدْ ذَكَرَهَا مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ.

الثَّالِثَةُ: الشَّفَاعَةُ لِقَوْمٍ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ فَيَشْفَعُ فِيهِمْ نَبِيُّنَا ﷺ وَمَنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، وَسَنُنَبِّهُ عَلَى مَوْضِعِهَا قَرِيبًا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

الرَّابِعَةُ: فِيمَنْ دخل النار مِنَ الْمُذْنِبِينَ، فَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ بِإِخْرَاجِهِمْ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ نَبِيِّنَا ﷺ، وَالْمَلَائِكَةِ، وَإِخْوَانِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ يُخْرِجُ اللهُ تَعَالَى كُلَّ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ لَا يَبْقَى فِيهَا إِلَّا الْكَافِرُونَ.

الْخَامِسَةُ: فِي زِيَادَةِ الدَّرَجَاتِ فِي الْجَنَّةِ لِأَهْلِهَا، وَهَذِهِ لَا يُنْكِرُهَا الْمُعْتَزِلَةُ، وَلَا يُنْكِرُونَ - أَيْضًا - شَفَاعَةَ الْحَشْرِ الْأَوَّلِ، قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ وَقَدْ عُرِفَ بِالنَّقْلِ الْمُسْتَفِيضِ سُؤَالُ السَّلَفِ الصَّالِحِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ شَفَاعَةَ نَبِيِّنَا ﷺ وَرَغْبَتَهُمْ فِيهَا وَعَلَى هَذَا لَا يُلْتَفَتُ إِلَى قَوْلِ مَنْ قَالَ إِنَّهُ يُكْرَهُ أَنْ يَسْأَلَ الْإِنْسَانُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَهُ شَفَاعَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ لِكَوْنِهَا لَا تَكُونُ إِلَّا لِلْمُذْنِبِينَ؛ فَإِنَّهَا قَدْ تَكُونُ كَمَا قَدَّمْنَا لِتَخْفِيفِ الْحِسَابِ وَزِيَادَةِ الدَّرَجَاتِ ثُمَّ كُلُّ عَاقِلٍ مُعْتَرِفٌ بِالتَّقْصِيرِ مُحْتَاجٌ إِلَى الْعَفْوِ غَيْرُ مُعْتَدٍّ بِعَمَلِهِ مُشْفِقٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ وَيَلْزَمُ هَذَا الْقَائِلَ أَلَّا يَدْعُوَ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ لِأَنَّهَا لِأَصْحَابِ الذُّنُوبِ وَهَذَا كُلُّهُ خِلَافُ مَا عُرِفَ مِنْ دُعَاءِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ هَذَا آخِرُ كَلَامِ الْقَاضِي رَحِمَهُ اللهُ. وَاللهُ أَعْلَمُ".

قلت: وهذه الشفاعة خاصة بالعصاة الذين ماتوا ولم يشركوا بالله شيئًا، فأهل الشرك لا شفاعة لهم كما قال الله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾.

فالشفاعة قسمان: القسم الأول خاصة بالرسول ﷺ، وهذا ثلاثة أقسام:

الأولى: الشفاعة العظمى. والثانية: الشفاعة لأهل الجنة أن يدخلوها. والثالثة: الشفاعة في عمه أبي طالب أن يخفف عنه

أما القسم الثاني: فهو فيمن استحق النار ألا أن يدخلها، وفيمن دخلها أن يخرج منها، وفي زيادة الدرجات، وهذا القسم ليس خاص بالرسول ﷺ، بل له ولغيره: يشفع فيه النبي ﷺ، والمؤمنون، والملائكة، والأفراط، ثم يبقى بقية من العصاة يخرجهم الله برحمته.

قال الشّيخ العَلّامَة عَبْد الرّحمن بْن يحْيَي المُعَلّمِيّ اليَماني (في رفع الاشتباه عن

معنى العبادة والإله٢/ ١٣١): "وذكر في روايةٍ شفاعة الشفعاء وإخراجهم مَنْ أذن لهم بإخراجهم ثم قال: «**فيقولون: ربنا لم نذر فيها خيرًا**» ثم يتفضَّلُ الله «**فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط**»، وفي رواية في ذكر هؤلاء: «**يعرفهم أهل الجنة، هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الجنة بغير عملٍ عملوه ولا خيرٍ قدَّموه**».

فدخول هؤلاء النار إما أن يكون بذنوبٍ وخطايا، وإما أن يكون بتقصيرٍ في تحصيل الإيمان تقصيرًا لا يهدم لا إله إلا الله، ولا يهدم الجزء الذي قد حصل لمن حصل له منهم. والله أعلم".

قال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز عند شرحه كتاب التوحيد " فهذا الباب في الشفاعة لما كان المشركون يتعلقون بالشفاعة ويدعون غير الله ويستغيثون بغير الله رجاء الشفاعة، عقد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الباب ليبين أمر الشفاعة، والمؤلف هو أبو عبدالله محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن هادي التميمي شيخ الإسلام في زمانه، والمجدد لما أندرس من معالم الإسلام في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري في هذه الجزيرة، وكان وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ست ومائتين وألف من الهجرة النبوية، وقد ألف هذا الكتاب كتاب التوحيد ليبين حقيقة التوحيد، وحقيقة الشرك، وما يتعلق به المشركون، وبيان كثير من البدع التي وقع فيها كثير من الناس، وبين أنواعًا من الشرك الأصغر حتى يكون الناس على بصيرة، ومن ذلك هذا الباب' يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: باب الشفاعة، يعني بيان الشفاعة الشرعية، والشفاعة البدعية، والشفاعة التي أثبتها القرآن، والشفاعة التي نفاها القرآن حتى تكون المسألة بينة واضحة وحتى يعلم ذلك كل صاحب حق وحتى تقوم الحجة على من أنكر ذلك، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ ﴾ [الأنعام: ٥١] يعني أنذر الناس ولاسيما أهل الإيمان الذين يخافون أن يُحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع أنذر بالقرآن فليس هناك ولي ولا شفيع إلا من أذن الله له

من الرسل وأتباعهم، قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ما أحد يشفع إلا بإذنه سبحانه وتعالى، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقال سبحانه: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦].

فالشفاعة لا بدّ فيها من شرطين: أحدهما: إذن الله للشافع.

والثاني: رضاه للمشفوع فيه، وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد والإيمان لا يرضى الكفر.

قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

وقال جل وعلا: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.

قال أبو العباس.. شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الآية في تفسيرها: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك، لقوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أو شرك منه ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ أو يكون عونًا لله. ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾، الظهير العوين، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين سبحانه أنها لا تنفع إلا لمن أذن الله له، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾، فبهذا بطلت الشفاعة التي يتعلق بها المشركون، ولم يبق إلا الشفاعة التي أذن الله فيها، وهي التي تكون بإذنه للشافع ورضاه عن المشفوع، وهم أهل التوحيد ورضاه، سبحانه لا يرضى إلا التوحيد، لا يرضى الشرك ولا يأذن بالشفاعة لأهله، وقد سأله أبو هريرة قال: يا رسول الله، من أحق الناس بشفاعتك؟

قال: «**من قال لا إله إلا الله خالصًا بقلبه**»، فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص، ولا تكون لمن أشرك بالله ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وحقيقته، **يعني حقيقة الأمر أن الله سبحانه هو الذي تفضل على عباده فيأذن للشافع أن يشفع فيهم إذا كانوا موحدين مخلصين، أما من كان على الشرك فلا يؤذن بالشفاعة فيه**، هذا من فضله - جل وعلا -، يأذن للشافع في المشفوع فيهم من أهل التوحيد والإيمان، **أما أهل الشرك فلا شفاعة فيهم**؛ كما قال تعالى: ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾، فالشفاعة حق ولكنها تكون لأهل التوحيد والإخلاص ولا تكون لمن أشرك بالله، هذه الشفاعة الخاصة أما الشفاعة العامة لنبينا ﷺ فهي لجميع الناس، تعم أهل الموقف كلهم مسلمهم وكافرهم، وهذه الشفاعة العظمى، هي: الشفاعة في أن يقضى بينهم ويحاسبوا، ويقال لها الشفاعة العظمى، وهي خاصة بنبينا ﷺ، وهي المقام المحمود الذي قال الله فيه: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾، هي الشفاعة العظمى يشفع فيها لأهل الموقف حتى يُقضى بينهم أما الشفاعات الأخرى فهي: خاصة بالمؤمنين، الشفاعة لأهل الجنة يدخلون الجنة، والشفاعة في بعض العصاة أن يخرجوا من النار، كل هذه بعد الشفاعة العظمى والشفاعة في العصاة لا تخصه ﷺ، بل تعمه وتعم غيره من المؤمنين، فالمؤمنين العصاة لهم شفاعات فالخاصة به ثلاث: الشفاعة العظمى، والشفاعة لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة، هذه خاصة به ﷺ، والثالثة: الشفاعة في عمه أبي طالب أن يخفف عنه، فخفف عنه بعض الشيء، فهذه ثلاث شفاعات تخصه ﷺ أما الشفاعة فيمن استحق النار أن ألا يدخلها، وفيمن دخلها أن يخرج منها، وفي الدرجات، فهذه لا تخصه ﷺ، بل له ولغيره: يشفع المؤمنون، تشفع الملائكة، يشفع الأفراط، يشفع النبي ﷺ، والله - جل وعلا - يحد لهم شفاعات يوم القيامة، يشفع فيحد الله لهم حدًا من العصاة فيخرجهم من النار، ثم يشفع مرة أخرى فيحد الله له حدًا، ثم يشفع مرة ثالثة فيحد الله له حدًا، ثم يشفع مرة رابعة، فيحد الله له حدًا

فيخرجهم من النار قد امتحشوا بذنوبهم وسيئاتهم.

ويبقى في النار بقية لم تشملهم الشفاعة، .. لم تشملهم شفاعة الشفعاء، فيخرجهم الله من النار بغير شفاعة برحمته سبحانه يخرجهم من النار، وهم آخر من يخرج من النار لم يعملوا خيرًا قط سوى أنهم ماتوا على التوحيد، ولكن دخلوا النار بمعاصيهم وسيئاتهم؛ فيخرجهم الله من النار ولا يبقى في النار إلا أهلها، وهم الكفرة الذين حكم الله عليهم فيها بالخلود أبد الآباد؛ كما قال جل وعلا: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦]، وقال فيهم - جل وعلا: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، وقال فيهم - سبحانه -: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧]، وقال فيهم سبحانه: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾، ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠] نسأل الله العافية.."، وهذا مسجل بصوته[1] ومثله: (وكما في فتاواه ٢٥/ ٨٢).

وسئل سماحته[2] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من الذين لا تشملهم الشفاعة؟

فأجاب: " الكفار. ويبقى بقية من العصاة ما تشملهم الشفاعات كلها، يخرجهم الله بغير شفاعة؛ فضلاً منه سبحانه.

وكلام الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا، يبطل -مزاعم - صاحب: الإفادة" حيث بين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن البقية الذين يخرجهم الله هم من العصاة، ولم يقل من

---

(١) https://binbaz.org.sa/audios/١٦١٢ /١٧--%D٨٪.A٨٪.D٨٪.A٧٪.D٨٪.A٨-%D٨٪.A٧٪.D٩٪.٨٤٪.D٨٪.B٤٪.D٩٪.٨١٪.D٨٪.A٧٪.D٨٪.B٩٪.D٨٪.A٩

(٢) تسجيل صوتيا -https://binbaz.org.sa/fatwas/٢٤٥٦٧/%D٩٪.٨٥٪.D٩٪.٨٦-%D٨٪.A٧٪.D٩٪.٨٤٪.D٨٪.B٠٪.D٩٪.٨A%D٩٪.٨٦-%D٩٪.٨٤٪.D٨٪.A٧-%D٨٪.AA%D٨٪.B٤٪.D٩٪.٨٥٪.D٩٪.٨٤٪.D٩٪.٨٧٪.D٩٪.٨٥-%D٨٪.A٧٪.D٩٪.٨٤٪.D٨٪.B٤٪.D٩٪.٨١٪.D٨٪.A٧٪.D٨٪.B٩٪.D٨٪.A٩

الكفار.

وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ عن معنى ما جاء في الحديث "لم يعمل حسنة قط [١].

فأجاب: "... مثل ما قال: ... يخرجون من النار بعدما يشفع الشفعاء، يخرج الله قومًا من النار لم يفعلوا خيرًا قط، يعنى إلا التوحيد، يخرجهم الله بغير شفاعة من النار بعدما يمتحشون فيها ويعذبون..... يخرجون من النار، قال في رواية في الصحيح: «**لم يفعلوا خيرًا قط**»، وزاد في رواية: «**إلا أنهم يقولون لا إله إلا الله**»، وفي رواية: «**إلا أنهم موحدون**».

قد أجمع العلماء قاطبة على أن من مات على الشرك وهو غير معذور ليس من أهل الفترات ولم يعذر، أنه مخلد في النار ولا يخرج منها. وإنما البحث والخلاف بينهم وبين المعتزلة والخوارج في العصاة، فأهل السنة والجماعة يقولون إن العصاة يخرجون ولا يعذبون عذابًا دائمًا أبدًا، بل لهم نهاية، فالعصاة لهم نهاية، وإن وصف بعض عذابهم بالخلود فهو خلود له نهاية، خلود مؤقت مثل خلود الزاني والقاتل وقاتل نفسه، لكن هذا له نهاية. أما خلود الكفار فليس له نهاية، خلودهم مستمر، نسأل الله العافية.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ (في كتاب التوحيد ص١٢١): " الكفر ضد الإيمان، المراد بهذا أهل التوحيد، **الكفار ليسوا من أهل التوحيد**، من ترك الصلاة فليس من أهل التوحيد، من استهزأ بالدين فليس من أهل التوحيد، من كذب النبي ﷺ فليس من أهل التوحيد،

---

(١) تسجيل صوتيًا
https://binbaz.org.sa/fatwas/٢٤٤٦٥/%D٩٪٨٥٪D٨٪B٩٪D٩٪٨٦٪D٩٪٨٩-%D٩٪٨٥٪D٨٪A٧-%D٨٪AC%D٨٪A٧٪D٨٪A١-%D٩٪٨١٪D٩٪٨A-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪AD%D٨٪AF%D٩٪٨A%D٨٪AB-%D٩٪٨٤٪D٩٪٨٥-%D٩٪٨A%D٨٪B٩٪D٩٪٨٥٪D٩٪٨٤-%D٨٪AD%D٨٪B٣٪D٩٪٨٦٪D٨٪A٩-%D٩٪٨٢٪D٨٪B٧

ولو وحد الله يكفر، يبطل توحيده، ومن أتى بناقض من نواقض الإسلام كفر.

إذا كان يوحد الله ويصلي ويصوم ولا يذبح للأصنام، وقال: إن محمدًا ﷺ كذاب، ماذا تقولون؟ يبطل توحيده، أو معه توحيد؟ ما قال: محمد كذاب، لكن قال: ما بلغ الرسالة كما ينبغي، تساهل؛ يكفر أو ما يكفر؟ بالإجماع أو بالخلاف؟ **بإجماع المسلمين يكفر.**

أو استهزأ بالنبي ﷺ أو بالجنة أو بالنار أو بالله يكفر أو ما يكفر؟ **يكفر، ولو أنه وحد الله، فهذا مثله، إذا ترك الصلاة مثله.** نسأل الله العافية.

قاعدة أفهموها: (ما ينفع التوحيد إلا لمن سلم من النواقض)، التوحيد ينفع الناس إذا سلموا من النواقض؛ وإلا ما معنى حكم المرتد في هذا المعنى".

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: ".....، وأما العمومات التي فيها ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، وما أشبه ذلك فهي كلها في الكفار، كذلك قوله - جل وعلا ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾ [المائدة: ٣٧]، وما أشبه ذلك، هذه في الكفرة، لا يجوز حملها على العصاة، مع أن من دخل النار فقد أخزي بعض الخزي، وإن كان غير كافر، الآيات التي فيها التصريح ببقائهم وعدم خروجهم هذه في الكفرة، فلا يجوز ضرب الكتاب بعضه ببعض، ولا تضرب السنة بعضها ببعض، بل السنة تفسر القرآن وتبين معناه، وأن العصاة وإن كانوا متوعدين بالنار إن دخلوها، لكن مصيرهم إلى الخروج منها، فعلى التطهير والتمحيص فلا يبقى فيها إلا من كفر بالله - عز وجل -، **هم الذين يبقون فيها أبد الآباد**، كما قال - عز وجل -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٦٤، ٦٥]، نسأل الله العافية، وقوله: ﴿لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ﴾ [فاطر: ٣٦]، هؤلاء كلها في الكفار،

والعصاة إذا خرجوا من النار يسمون الجهنميين، ثم تزول هذه التسمية بعد ذلك، والله المستعان"[١].

سئل الشيخ العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أحسن الله إليكم. هذا سؤال من المستمع سالم غانم عاشور العراق الموصل يقول: قرأت في كتاب للشيخ الإمام الغزالي حديثاً عن النبي ﷺ عن الشفاعة فيمن أخرجهم الله من النار بشفاعته ﷺ حين يقول الله تعالى: فرغت شفاعة الملائكة والنبيين وبقيت شفاعتي. فيخرج من النار أقواماً لم يعملوا حسنة قط فيدخلون الجنة، فيكون في أعناقهم سمات ويسمون عتقاء الله عز وجل، فما مدى صحة هذا الحديث؟ وما معناه؟

الجواب: هذا الحديث متفق عليه بمعناه؛ يعني أنه قد روى البخاري ومسلم معنى هذا الحديث، إلا أن فيه كلمة منكرة في هذا السياق الذي ذكره الأخ وهو قوله فتبقى شفاعتي. فإن هذه اللفظة منكرة، واللفظ الذي ورد في الصحيحين: ولم يبق إلا أرحم الراحمين. وإنما كانت اللفظة التي ذكرها السائل منكرة؛ لأن قوله وتبقى شفاعتي؛ عند من يشفع؟! فالله سبحانه وتعالى هو الذي يُشفع إليه وليس يشفع إلى أحد سبحانه وتعالى ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ ومعنى هذا الحديث أن الله سبحانه وتعالى يأذن للرسل والملائكة والنبيين وكذلك لصالح الخلق أن يشفعوا في إخراج

---

(١) مسجل بصوته كما في الرابط -١٠٧ / https://binbaz.org.sa/audios/٢٨٧٦ %D٩٪.٨٥٪.D٩٪.٨٦-%D٨٪.AD%D٨٪.AF%D٩٪.٨A%D٨٪.AB-%D٩٪.٨A%D٨٪.AE%D٩٪.٨٤٪.D٨٪.B٥-%D٨٪.A٧٪.D٩٪.٨٤٪.D٩٪.٨٥٪.D٩٪.٨٨٪.D٩٪.٨٥٪.D٩٪.٨٦٪.D٩٪.٨٨٪.D٩٪.٨٦-%D٩٪.٨٥٪.D٩٪.٨٦-%D٨٪.A٧٪.D٩٪.٨٤٪.D٩٪.٨٦٪.D٨٪.A٧٪.D٨٪.B١-%D٩٪.٨١٪.D٩٪.٨A%D٨٪.AD%D٨٪.A٨٪.D٨٪.B٣٪.D٩٪.٨٨٪.D٩٪.٨٦-%D٨٪.B٩٪.D٩٪.٨٤٪.D٩٪.٨٩-%D٩٪.٨٢٪.D٩٪.٨٦٪.D٨٪.B٧٪.D٨٪.B١٪.D٨٪.A٩-%D٨٪.A٨٪.D٩٪.٨A%D٩٪.٨٦-%D٨٪.A٧٪.D٩٪.٨٤٪.D٨٪.AC%D٩٪.٨٦٪.D٨٪.A٩-%D٩٪.٨٨٪.D٨٪.A٧٪.D٩٪.٨٤٪.D٩٪.٨٦٪.D٨٪.A٧٪.D٨٪.B١

من شاء من أهل النار، فيخرج من أهل النار من شاء الله، حتى إذا تم إبقاء أحد تتبعه شفاعة هؤلاء ولم يبق إلا رحمة أرحم الراحمين، أخرج الله سبحانه وتعالى بهذه الرحمة من شاء، وجعل في رقابهم خواتم على أنهم عتقاء الله سبحانه وتعالى، فيدخلون الجنة. ومعنى قوله لم يعملوا حسنةً قط أنهم ما عملوا أعمالاً صالحة، لكن الإيمان قد وقر في قلوبهم، فإما أن يكون هؤلاء قد ماتوا قبل التمكن من العمل، آمنوا ثم ماتوا قبل أن يتمكنوا من العمل، وحينئذ نبسط عليهم أنهم لم يعملوا خيرًا قط، وإما أن يكون هذا الحديث مقيدًا بمثل الحديث الدال على أن بعض الأعمال الصالحة تركها كفر كالصلاة مثلاً فإن من لم يصل فهو كافر ولو زعم أنه مؤمن بالله ورسوله، والكافر لا تنفعه شفاعة الشافعين يوم القيامة، وهو مخلد في النار أبد الآبدين والعياذ بالله. فأيهما من هذا الحديث إما أن يكون في قوم آمنوا ولم يتمكنوا من العمل فماتوا فور إيمانهم فما عملوا خيرًا قط، وإما أن يكون هذا عامًا ولكنه يستثنى منه ما دلت النصوص الشرعية على أنه لا بد أن يعمل كالصلاة، فإنه لا بد أن يصلي الإنسان، فمن لم يصل فهو كافر لا تنفعه الشفاعة ولا يخرج من النار"[1]

وقال الشيخ صالح بن عبد الله الفوزان – حفظه الله – (في إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد ١/ ٢٣٨): " بعد ما ذكر أقسام الشفاعة ومنها الشفاعة المنفية:"... الشفاعة التي تطلب فيمن لا تقبل فيه، وهو الكافر، **فالكافر والمشرك لا تقبل فيه الشفاعة**: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾، وقال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾..." ثم ذكر شرطي الشفاعة المثبتة ومنها: "...الشرط الثاني: أن تكون فيمن تقبل فيه الشفاعة، وهو المؤمن الموحِّد الذي عنده شيء من المعاصي دون الشرك، فهذا تُقبل فيه الشفاعة بإذن الله...: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾، وهم أهل الإيمان". ثم بين بعد ذلك – حفظه الله – أن "الشافعة المثبتة ستة أنواع:

النوع الأول: الشفاعة العظمى، وهي المقام المحمود، وهي التي تكون من الرسول ﷺ لأهل الموقف، إذا طال الوقوف على أهل الموقف التمسوا من يشفع لهم إلى الله في القضاء بينهم، وإراحتهم من الموقف، فيأتون إلى آدم عليه السلام ثمّ إلى الأنبياء نبيًّا نبيًّا كلهم يعتذرون، حتى ينتهوا إلى محمَّد ﷺ، فيقول: "أنا لها، أنا لها" ثمّ يخر ساجدًا بين يدي ربه عزّ وجل، ويفتح الله عليه بمحامد، فلا يزال ساجدًا حتى يقال له: "يا محمَّد ارفع رأسك، وسَلْ تعط، واشفع تشفّع"، هذا فيه أن الرسول لا يشفع ابتداءً، وإنما يشفع بعد الاستئذان، بعد أن يخر ساجدًا لله، ولا يشفع إلاّ بعد أن يؤذن له، ويقال: اشفع تشفّع، ثمّ يشفع في أهل الموقف، فيحاسبون، ثمّ ينصرفون من الموقف إما إلى الجنة وإما إلى النار. هذه الشفاعة العظمى، وهي المقام المحمود الذي قال تعالى فيه: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾؛ لأنه يحمده عليه الأولون والآخرون -عليه الصلاة والسلام-، وهذه لم يخالف فيها أحد وحقيقتها أن الخلائق يطلبون من النبي ﷺ أن يدعو الله لهم بأن يريحهم من الموقف الطويل.

النوع الثاني: شفاعته ﷺ لأهل الجنة في أن يدّخلوا الجنة.

النوع الثالث: شفاعته ﷺ في بعض أهل الجنة في رفعة درجاتهم في الجنة.

النوع الرابع: شفاعته ﷺ في عمّه أبي طالب، وذلك أن أبا طالب كانت مواقفه مع الرسول ﷺ، وتأييده له، وحمايته من أذى قومه، كلها معروفة، وأنه صبر معه على الأذى وعلى الحصار والضيّق، فهو بذل مع الرسول ﷺ شيئًا عظيمًا من الحماية والنُّصرة والدفاع عنه، وهذا من تسخير الله سبحانه وتعالى، وتيسير الله، حيث سخّر هذا الكافر لحماية النبي ﷺ، وحرص النبي ﷺ على هدايته، ودخوله في الإسلام، حتى إنه زاره وهو يُحتضر، وقال له: "يا عم، قل: لا إله إلاّ الله، كلمة أحاج لك بها عند الله" إلاّ أنه كان عنده حَضْرة من المشركين قالوا له: أترغب عن مِلّة عبد المطلب؟. فأخذته النّخوة- والعياذ بالله-، والحَمِيَّة الجاهلية وقال: هو على ملّة عبد

المطلب، ومات ولم يقل لا إله إلاّ الله، فصار من أهل النار، فالنبي ﷺ يشفع له في تخفيف العذاب عنه يوم القيامة، لا في إخراجه من النار، فلا يتعارض هذا مع قوله: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾؛ لأنها لم تنفع أبا طالب بالخروج من النار، وإنما نفعته في تخفيف العذاب عنه.

النوع الخامس: الشفاعة فيمن استحق النار من أهل التّوحيد أن لا يدخلها.

النوع السادس: الشفاعة فيمن دخل النار من أهل التّوحيد أن يخرج منها، وهاتان الشفاعتان الأخيرتان ليستا خاصتين بالنبي ﷺ، بل هما عامتان في الأنبياء والأولياء، والصالحين، والأفراط. فالأولياء يشفعون، والصالحون، والأفراط - وهم الأولاد الصغار- يشفعون لآبائهم.

وهذه الشفاعة يثبتها أهل السنّة والجماعة للأحاديث الواردة الصحيحة فيها، ويخالف فيها المبتدعة من المعتزلة، والخوارج الذين يقولون إن من دخل النار لا يخرج منها، ويخالفون بذلك الأحاديث الصحيحة الواردة فيها عن النبي ﷺ، هذه أنواع الشفاعات الثابتة الصحيحة التي توفر فيها الشرطان المذكوران.

وأمر الشفاعة أمر عظيم؛ لأنه غلط فيها أمم من النّاس قديماً وحديثاً[1]، وفهموها على غير المقصود، فجمهور المشركين- أو كل المشركين- فهموها على غير المقصود، وبعض المبتدعة من المسلمين أنكروا بعضها، فحصل الغلط، فلابد من التفصيل والإيضاح في أمر الشفاعة، لأنها أصبحت مزلة أقدام، يجب على طلبة العلم أن يهتموا بهذا الأمر، لأن فيها مغالطات عند القبوريين والخرافيين؛ لأنهم لا يفقهون معنى الشفاعة، أو أنهم يتعمّدون المعاندة والمخالفة، ويصرون على ما كان عليه آباؤهم وأجدادهم ومشايخهم من الضلال في هذا الباب.

---

(١) ومن ضمن أولئك صاحب إفادة الأخيار، فقد زل زلة لم يسبقه أحد، وقد كشفت ضعف فهمة، وضحالة علمه. فالله المستعان.

فالشفاعة ليست منفية مطلقة، ولا مثبتة مطلقة، بل فيها تفصيل، وفيها إيضاح لابد من معرفته، ولذلك عقد المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الباب لها من أجل هذا الغرض.

ثمّ ساق رَحِمَهُ اللَّهُ بعض الآيات والأحاديث في موضوع الشفاعة.

الآية الأولى: قوله تعالى: " ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾، هذا أمر من الله للنبي ﷺ.

يقول: " ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ﴾ " الإنذار هو: الإعلام بشيء مَخُوْف. أما البشارة فهي: الإعلام بشيء محبوب، والنبي ﷺ بشير ونذير، بشير لأهل الإيمان بالأجر والثواب والجنة، ونذير لأهل الشرك والمعاصي بالعذاب والنار.

﴿ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ الحشر معناه: الجمع، لأن الله يجمع الخلائق يوم القيامة أولهم وآخرهم في صعيد واحد، لا يخفى منهم أحد؛ لأجل فصل القضاء بينهم، وجزائهم بأعمالهم. وهذا الموقف لابد منه، فأنت أيها الرسول أنذر المؤمنين بهذا الموقف، ولماذا خص المؤمنين؟، لأنهم هم الذين يمتثلون، وإلاَّ فإنه مأمور بأن يبلغ النّاس كلهم، ولكنه- أحيانـًا- يؤمر بتخصيص المؤمنين، لأنهم هم الذين يمتثلون، وفي إنذارهم نفع لهم، أما المشركون والكفار فهم يبلغون من أجل إقامة الحجة عليهم، وأما المؤمنون فإنهم يبلغون من أجل نفعهم بذلك..."

وقال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي (في شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ص: ٧٠) "قوله: فيقول الجبار: بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار...): يخرج الله -تعالى- من النار من كان موحدًا ممن لم تنلهم الشفاعة، وفي اللفظ الآخر: (لم يعملوا خيرًا قط): أي: زيادة على التوحيد والإيمان. أما الكفار فلا يخرجون من النار، كما أخبر الله -تعالى- وهو أصدق القائلين: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ﴾..".

قلت: ومن شرط قبول الشفاعة ألا يكون كافرًا؛ لأن الكافر ليس له شفاعة، فلا

تقبل الشفاعة إلا في المؤمن الموحِّد الذي عنده شيء من المعاصي دون الشرك، فهذا تُقبل فيه الشفاعة بإذن الله كما تقدم من كلام الشيخ صالح الفوزان، وهذا يبطل ما زعمه صاحب: "إفادة الأخيار".

ومن أبطل الباطل زعمه: أن بعض من يخرجهم الله بالقبضتين هم من الكفار، وزعم أن تارك الصلاة المقر بوجوبها من جملة أولئك، بل جعلهم كفارًا موحدين، فأتى بما لم يأت به الأوائل، فحان لأبي حنيفة: أن يمد رجله.

والحقيقة أنه في هذا على طريقة المرجئة شعر بذلك أو لم يشعر، فقوله: نجاة تارك العمل بأحاديث الشفاعة التي فيها أن الله يخرج من النار أقوامًا «**لم يعملوا خيرًا قط**» أو «**من غير عمل عملوه أو خير قدموه**»، كل ذلك هي حجج المرجئة.

وتلك مخالف للكتاب والسنة والإجماع، وقد نقل الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره الإجماع على كفر تارك العمل.

ومن لوازم العمل الصلاة؛ فإن تركها بلا عذر كفر سواء كان جاحدًا لوجوبها أو مقرًا بموجبها ولا يلتزم بفعلها، وقد بينت ذلك في كتابي: البيان الفصل....

قال محمد بن إسماعيل الصنعاني (في رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار ص ١٣٢) وهو يرد على من قال بفناء النار ويستدل بأحاديث الشفاعة "وهذا الحديث فيه الإخبار بأن الملائكة قالت: «**لم نذر فيها خيرًا**» أي: أحدًا فيه خير، والمراد ما علموه بإعلام الله. ويجوز أن يقال لم يعلمهم بكل من في قلبه خير، وأنه بقي من أخرجهم بقبضته ويدل له أن لفظ الحديث «**أنه أخرج بالقبضة من لم يعملوا خيرًا قط**» فنفى العمل ولم ينف الاعتقاد، وفي حديث الشفاعة تصريح بإخراج قوم لم يعملوا خيرًا قط، ويفيد مفهومه أن في قلوبهم خيرًا.

ثم سياق الحديث يدل على أنه أريد بهم أهل التوحيد؛ لأنه - تعالى - ذكر الشفاعة للملائكة، والأنبياء، والمؤمنين، ومعلوم أن هؤلاء يشفعون بعصاة أهل

التوحيد؛ فإنه لا يقول ابن تيمية ولا غيره أنه يشفع للكفار بقرائن القبض التى قبضها الرب في عصاة الموحدين والأليق بالسياق أنها أيضاً فيهم..." [أي في عصاة الموحدين].

ومن طوام وعجيب "صاحب الإفادة..." قوله: إن القائل بخلق القرآن: كافر وموحد ويخرج بالقبضتين؟!!. فانظر إلى هذا التناقض!!

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (في اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ٨/ ١٦): " (قول إمامي أهل الحديث) أبي زرعة وأبي حاتم رحمهما الله تعالى. قال عبد الرحمن بن أبي حاتم، سألت أبي وأبا زرعة عن مذهب أهل السنة في أصول الدين وما أدركا عليه أئمة العلم في ذلك فقالا أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازًا وعراقًا وشامًا ويمنًا، فكان من مذهبهم الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، والقرآن كلام الله تعالى غير مخلوق بجميع جهاته، والقدر خيره وشره من الله عز وجل، وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأن الله عز وجل على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ بلا كيف، أحاط بكل شيء علمًا، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وأنه سبحانه يُرى في الآخرة يراه أهل الجنة بأبصارهم ويسمعون كلامه كيف شاء وكما شاء، والجنة حق والنار حق وهما مخلوقتان لا يفنيان أبدًا، **ومن زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم كفرًا ينقله عن الملة، ومن شك في كفره ممن يفهم ولا يجهله فهو كافر، ومن وقف في القرآن فهو جهمي، ومن قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي.**

وقال حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (في أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة ص: ٤٦) "وقال الثوري[(١)]: من قال: القرآن مخلوق فهو

---

(١) وانظر الإبانة ص٩٥، والحجة على تارك المحجة٢/ ٤٨٥.

كافر. وقال على ابن عبد الله (ابن المديني): القرآن كلام الله، من قال أنه مخلوق فهو كافر، لا يصلى خلفه. من قال القرآن أو شيء من القرآن مخلوق فهو كافر كفرًا أكبر يخرجه من الإسلام بالكلية؛ لأن القرآن كلام الله تعالى منه بدأ وإليه يعود، وكلامه صفته، ومن قال شيء من صفات الله مخلوق فهو كافر مرتد يعرض عليه الرجوع إلى الإسلام فإن رجع وإلا قتل كفرا ليس له شيء من أحكام المسلمين"

و" أخرج اللالكائي عن الربيع بن سليمان، قال الشافعي: "من قال القرآن مخلوق فهو كافر"[(١)].

قال: صاحب (إفادة الأخيار): إن تارك الصلاة كافر، ولكن يخرج بالقبضتين: بما معه من التوحيد.

وأقول لصاحب "الإفادة": إن كنتَ ترجح عدم كفره، فهو موحد، عند من يرى عدم الكفر، فكيف يكون كافرًا؟! وإن كنت ترجح كفره، فكيف يكون موحدًا ويخرج بالقبضتين؟!! أم هو في منزلة بين المنزلتين؟!!

قال ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ: (في المغني لابن قدامة ٢/ ١٥٦): "وَجُمْلَةُ ذَلِكَ أَنَّ تَارِكَ الصَّلَاةِ لَا يَخْلُو؛ إمَّا أَنْ يَكُونَ جَاحِدًا لِوُجُوبِهَا، أَوْ غَيْرَ جَاحِدٍ، فَإِنْ كَانَ جَاحِدًا لِوُجُوبِهَا نُظِرَ فِيهِ، فَإِنْ كَانَ جَاهِلًا بِهِ، وَهُوَ مِمَّنْ يَجْهَلُ ذَلِكَ، كَالْحَدِيثِ الْإِسْلَامِ، وَالنَّاشِئِ بِبَادِيَةٍ، عُرِّفَ وُجُوبَهَا، وَعُلِّمَ ذَلِكَ، وَلَمْ يُحْكَمْ بِكُفْرِهِ ؛ لِأَنَّهُ مَعْذُورٌ.

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يَجْهَلُ ذَلِكَ، كَالنَّاشِئِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فِي الْأَمْصَارِ وَالْقُرَى، لَمْ يُعْذَرْ، وَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ ادِّعَاءُ الْجَهْلِ، وَحُكِمَ بِكُفْرِهِ؛ لِأَنَّ أَدِلَّةَ الْوُجُوبِ ظَاهِرَةٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالْمُسْلِمُونَ يَفْعَلُونَهَا عَلَى الدَّوَامِ، فَلَا يَخْفَى وُجُوبُهَا عَلَى مَنْ هَذَا حَالُهُ، فَلَا يَجْحَدُهَا إلَّا تَكْذِيبًا لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ، وَهَذَا يَصِيرُ مُرْتَدًّا عَنْ الْإِسْلَامِ، وَحُكْمُهُ حُكْمُ سَائِرِ الْمُرْتَدِّينَ، فِي الِاسْتِتَابَةِ وَالْقَتْلِ، وَلَا أَعْلَمُ فِي هَذَا

(١) انظر شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي ١٥/ ٤ ، وشرح البربهاري للراجحي ٣/ ٤.

خِلَافًا. وَإِنْ تَرَكَهَا لِمَرَضٍ، أَوْ عَجْزٍ عَنْ أَرْكَانِهَا وَشُرُوطِهَا، قِيلَ لَهُ: إِنَّ ذَلِكَ لَا يُسْقِطُ الصَّلَاةَ، وَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى حَسَبِ طَاقَتِهِ.

وَإِنْ تَرَكَهَا تَهَاوُنًا أَوْ كَسَلًا، دُعِيَ إِلَى فِعْلِهَا، وَقِيلَ لَهُ: إِنْ صَلَّيْتَ، وَإِلَّا قَتَلْنَاكَ. فَإِنْ صَلَّى، وَإِلَّا وَجَبَ قَتْلُهُ. وَلَا يُقْتَلُ حَتَّى يُحْبَسَ ثَلَاثًا، وَيُضَيَّقَ عَلَيْهِ فِيهَا، وَيُدْعَى فِي وَقْتِ كُلِّ صَلَاةٍ إِلَى فِعْلِهَا، وَيُخَوَّفَ بِالْقَتْلِ، فَإِنْ صَلَّى، وَإِلَّا قُتِلَ بِالسَّيْفِ".

قال سماحة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: (كما فتاوى نور على الدرب ٦/ ٨٥): "أن من ترك الصلاة تهاونًا، فقد اختلف فيه العلماء، هل هو كافر كفرًا أكبر أم كفرًا أصغر، وسبق أنه كافر كفرًا أكبر في الصحيح من قولى العلماء، **وإذا كان كفره أكبر فهو إذا مات على ذلك يكون حكمه حكم الكفار مخلدًا في النار كسائر الكفرة**، وقد قال الله عز وجل في كتابه العظيم لما سئل عن أهل النار عن أسباب دخولهم النار؟ أجابوا بأنهم لم يكونوا من المصلين، قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾، ما قالوا: كنا من الجاحدين، قالوا: لم نك من المصلين، فدل على أن عدم الصلاة من أسباب دخولهم النار، نعوذ بالله من ذلك...". وهو قول: الشيخ صالح ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ والشيخ صالح الفوزان – حفظه الله –.

ومن خلط صاحب إفادة الأخيار قوله: " القسم الثاني: الأصل العام المجمع عليه بين الأمة، ودلالته على أن كل من مات يشهد ألا إله إلا الله ولا يشرك بالله شيئًا أن مصيره ونهاية أمره إلى الجنة والخروج من النار إن دخلها على كل حال ولو عمل أي عمل ولو كان كفرًا دون الشرك، وما كان في حكمه من التكذيب والجحود ومعاندة الحق الموجبة للخلود في النار"

قلت: قد أتى صاحب "إفادة الأخيار" بدعاوى كاذبة ليس عليها حجة، بل هي معلومة الفساد بأدنى عقل وإيمان؛ لأنه جعل من الكفار والمنافقين أهل توحيد تنفعهم: شهادة ألا إله إلا الله، وزعم أنهم يخرجون بالقبضتين، وذلك باطل شرعًا

وعقلاً، هذا أولاً.

ثانيًا: ساوى بين العصاة من الموحدين وبين الكفار والمنافقين، وهذا من القول على الله بلا علم.

ثالثًا: من تأمل قوله -: "إن دخلها على كل حال ولو عمل أي عمل ولو كان كفرًا دون الشرك، وما كان في حكمه من التكذيب والجحود ومعاندة الحق الموجبة للخلود في النار" - شك في عقله، وعلى كلامه، فإبليس لعنة الله عليه، وفرعون، واليهود، والنصارى، والمنافقون يخرجون بالقبضتين؟!!!، نعوذ بالله من الحور بعد الكور.

رابعًا: أما استدلاله بما بوب عليه النووي: أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا، فهذا ليس له دليل فيه، بل هذا تناقض يبطل كلامه؛ فإن ذلك في العصاة وليس في الكفار، بل صرح النووي بعدم دخول الكفار الجنة، فقال: " كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر، ولو عمل من أعمال البر ما عمل".

وهذا كلام صريح من النووي يبطل كل احتجاجات " صاحب إفادة الاخيار"، ومن تأمل كلام النووي الذي استدل به، - كما سيأتي - عرف أنه حجة عليه لا له.

قال الإمام محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (في شرح النووي على مسلم (١/ ٢٢٨): " باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا.

هذا الباب فيه أحاديث كثيرة وتنتهي إلى حديث العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا». واعلم أن مذهب أهل السنة، وما عليه أهل الحق من السلف والخلف: أن من مات موحدًا دخل الجنة قطعًا على كل حال؛ فإن كان سالمًا من المعاصي كالصغير والمجنون الذي اتصل جنونه بالبلوغ، والتائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصي إذا لم يحدث معصية بعد توبته، والموفق الذي لم يبتل بمعصية أصلاً، فكل هذا الصنف يدخلون الجنة ولا يدخلون النار أصلاً، لكنهم يَرِدُونَهَا على الخلاف المعروف في الورود، والصحيح: أن المراد به

المرور على الصراط، وهو منصوب على ظهر جهنم، أعاذنا الله منها ومن سائر المكروه.

وأما من كانت له معصية كبيرة، ومات من غير توبة، فهو في مشيئة الله تعالى، فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة أولاً، وجعله كالقسم الأول، وإن شاء عذبه القدر الذي يريده سبحانه وتعالى، ثم يدخله الجنة، فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد، ولو عمل من المعاصي ما عمل. **كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر**[1]، **ولو عمل من أعمال البر ما عمل. وهذا مختصر جامع لمذهب أهل الحق في هذه المسألة، وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به من الأمة على هذه القاعدة، وتواترت بذلك نصوص تحصل العلم القطعي، فإذا تقررت هذه القاعدة حمل عليها جميع ما ورد من أحاديث الباب وغيره**، فإذا ورد حديث في ظاهره مخالفة وجب تأويله عليها، ليجمع بين نصوص الشرع، وسنذكر من تأويل بعضها ما يعرف به تأويل الباقي إن شاء الله تعالى، والله أعلم.

وأما شرح أحاديث الباب فنتكلم عليها مرتبة لفظًا ومعنى إسنادًا ومتنًا".

وأما تشبيه صاحب " إفادة الأخيار" بكلام الشوكاني (في فتح القدير ٢/ ٥٩٥): "فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا عَامًّا فِي الْكَفَرَةِ وَالْعُصَاةِ، وَيَكُونُ الِاسْتِثْنَاءُ مِنْ خَالِدِينَ، وَتَكُونُ مَا بِمَعْنَى مَنْ، وَبِهَذَا قَالَ قَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ وَأَبُو سِنَانٍ وَغَيْرُهُمْ. وَقَدْ ثَبَتَ بِالْأَحَادِيثِ الْمُتَوَاتِرَةِ تَوَاتُرًا يُفِيدُ الْعِلْمَ الضَّرُورِيَّ بِأَنَّهُ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ أَهْلُ التَّوْحِيدِ، فَكَانَ ذَلِكَ مُخَصِّصًا لِكُلِّ عُمُوم"

فالجواب على هذا: أن الشقاوة عامة في الكفرة والعصاة، وكلا الصنفين: الكفرة والعصاة خالدين في النار، لكن أتت الأحاديث المتواترة تواترًا تفيد العلم الضروري في إخراج العصاة الموحدين من النار، فكانت مخصصة لكل عموم، وقد أوضحتْ

---

(١) انظر إلى استدلال صاحب إفادة الأخيار على نفسه، فما خرج من فيه حجة عليه.

تلك النصوص من الكتاب والسنة أن تخليد العصاة مؤقت، وأن تخليد الكفار دائم، فكلام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ واضح، لكن صاحب إفادة الأخيار لم يفهمه فخبط وخلط.

قال الشيخ عبد الله بن حميد الغامدي – حفظه الله – وهو ممن ناصح صاحب (إفادة الأخيار)،"قال البيهقي:" أجمع أهل السنة على أن أهل النار مخلدون فيها غير خارجين منها: كإبليس، وفرعون، وهامان، وقارون، وكل من كفر وتكبر وطغى، فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا.

وقد وعدهم الله عذابًا أليمًا، فقال عز وجل: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾.

وأجمع أهل السنة أيضًا على أنه لا يبقى فيها مؤمن ولا يخلد إلا كافر جاحد، فاعلم.

قلت: [أي الشيخ عبد الله..] وقد زل هنا بعض من ينتمي إلى العلم والعلماء فقال: إنه يخرج النار كل كافر ومبطل وجاحد ويدخل الجنة، فإنه جائز في العقل أن تنقطع صفة الغضب فيعكس عليه فيقال: وكذلك جائز في العقل أن تنقطع صفة الرحمة فيلزم عليه أن يدخل الأنبياء والأولياء النار يعذبون فيها، وهذا فاسد مردود بوعده الحق وقوله الصدق، قال الله تعالى في حق أهل الجنان: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ أي: غير مقطوع، وقال ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ وقال: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ وقال: ﴿لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ وقال في حق الكافرين ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ وقال: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ وهذا واضح، وبالجملة فلا مدخل للمعقول فيما اقتطع أصله الإجماع والرسول، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾". التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٩٢٠-٩٢١) نسخه: أبو عاصم عبد الله بن حميد الغامدي في ٢١/ ٢/ ١٤٤٥هـ" انتهى

قلت: وأما استدلال " صاحب إفادة الأخيار" – على أن الله يخرج بالقبضتين

أناساً كفارًا – بما أقسم الله به على نفسه: «**وعزتى وجلالى وكبريائى وعظمتى لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله**»، فهو استدلال في غير مكانه؛ لأنه في العصاة، وقد تقدم ذكرهم في كلام الامام ابن باز.

ومعلوم أن المنافقين يقولون: «لا إله إلا الله»، وهم في الدرك الأسفل من النار، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾.

وعلى زعم صاحب "إفادة الأخيار" يخرجهم الله بالقبضتين، وهذا خلط وخبط على طريقة استدلال المرجئة، وإلا فشهادة أن لا إله إلا الله لا تنفع قائلها ولا تقيه من عذاب الله إلا بشروطها، فلا بد من العلم بمعناها نفياً وإثباتاً، فلا ينفع التلفظ بها دون فهم ما دلَّت عليه، ودون اعتقاد التوحيد لله في ألوهيته، وفي جميع أنواع العبادة، ودون يقين مناف للشك، وإخلاص ينافي للشرك وصدق مانع من النفاق، ومحبة لهذه الكلمة، وما دلت عليه، وانقياد لحقوقها، وقبول مناف للرد، وكفران بما يعبد من دون الله، فمن لم يكفر بالطاغوت لم يؤمن بالله؛ لأنه لم يستمسك بالعروة الوثقى (التوحيد).

❋ ❋ ❋

الخاتمة

قد ذكر أهل العلم أن الذين يخرجون بالقبضتين هم أناس من العصاة، وهم آخر من يخرج من النار، وهم البقية الذين لم تشملهم شفاعة الشافعين، وهؤلاء المقصودون في الحديث: «**فيقبض الله قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط..**»؛ لأنهم ماتوا على التوحيد، لكن دخلوا النار بمعاصيهم وسيئاتهم، فبعد أن يحد الله حدًّا للشفعاء، فيشفع النبي ﷺ، والملائكة، والمؤمنون، تبقى بقية في النار يخرجهم الله برحمته، ولا يبقى في النار إلا أهلها، وهم الكفرة الذين حكم الله عليهم فيها بالخلود أبد الآباد؛ كما قال - جل وعلا: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾، وقال: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾، وقال - سبحانه -: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾، وقال سبحانه: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾، ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ كما تقدم من كلام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد ذكر سماحته في موضع آخر كما تقدم: أن الكفار لا تشملهم الشفاعة، وأن العصاة يبقى منهم بقية لا تشملهم الشفاعات كلها، يخرجهم الله بغير شفاعة؛ فضلاً منه سبحانه. انتهى

فهؤلاء الذين بقوا وأخرجهم الله برحمته لم يكن عملهم على التمام والكمال، - كما ذكر ذلك ابن خزيمة وغيره، وكما قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ [أنهم]: يكثرون في أماكن الفترات التي تضعف فيها آثار النبوة إذا لم يكن هناك من يقوم بحقائقها، ... ومن هؤلاء من يغفر الله له؛ فإنه إذا اجتهد وسعه في الإيمان بالرسول، ولم يبق له قدرة على أكثر مما حصل له من الإيمان به، لم يكلف الله نفسًا إلا وسعها، وإن كان قوله بعد قيام الحجة عليه كفرًا، كالذي قال لأهله إذا انا مت فاسحقوني ثم اذْرُوني في اليم،

فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذاباً لا يعذبه أحدًا من العالمين، والحديث في الصحيحين من غير وجه؛ فإن هذا جهل قدرة الله على إعادته، ورجا أنه لا يعيده بجهل ما أخبر به من الإعادة، ومع هذا لما كان مؤمناً بالله وأمره ونهيه ووعده ووعيده خائفاً من عذابه، وكان جهله بذلك جهلاً لم تقم عليه الحجة التي توجب كفر مثله، غفر الله له، ومثل هذا كثير في المسلمين والنبي ﷺ كان يخبر بأخبار الأولين ليكون ذلك عبرة لهذه الأمة. انتهى.

وأما الكفار فإنهم لا يخرجون من النار أبد الآباد، ومن اعتقد خروجهم فهو أفّاك؛ لأن في ذلك ردًّا لنصوص الكتاب والسنة والإجماع، وكما قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "وهذا الدين لا يُنسخ أبدًا، لكن يكون فيه من يُدخل من التحريف، والتبديل، والكذب، والكتمان، ما يلبس به الحق بالباطل، ولا بد أن يقيم الله فيه من تقوم به الحجة خلفاً عن الرسل، فينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فيحق الله الحق ويبطل الباطل، ولو كره المشركون"

وكما وقال مالك: "بلغني أن عمر بن الخطاب كان يقول: سنت لكم السنن وفرضت لكم الفرائض، وتركتم على الواضحة إلا أن تميلوا بالناس يميناً وشمالاً، وقال ﷺ: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**».

فأخبر أن الغالين محرفون ما جاء به، والمبطلون ينتحلون بباطلهم غير ما كان عليه، والجاهلون يتأولونه على غير تأويله، وفساد الإسلام من هؤلاء الطوائف الثلاثة؛ فلولا أن الله – تعالى – يقيم لدينه من ينفي عنه ذلك لجرى عليه ما جرى على أديان الأنبياء قبله".

وقد ذكر العلماء أن الشفاعة لمن: قال لا إله إلا الله، وقد جاء بأصل التوحيد.

وليس كل من قال: «لا إله إلا الله» تشمله الشفاعة، فالمنافقون يقولن: «لا إله إلا

الله»، لا ينفعهم قولهم لها، وهم في الدرك الأسفل من النار، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾.

فشهادة أن لا إله إلا الله لا تنفع قائلها ولا تقيه من عذاب الله إلا بشروطها.

كتبه: سليمان بن مبروك بن مبيريك الحربي